

السوسيولوجيا السياسية كما صورها الشعر الأندلسي

علاقة العرب بالبربر مثالا

أ.م.د. رعد ناصر مايوود

جامعة واسط / كلية التربية

**Political sociology as illustrated by Andalusian poetry
The relationship between Arabs and Berbers
as a model**

**Asst. Prof. Raad N. Mayood
Waist University\ College of**

Introduction

The Arabs, in themselves, believed that they were worthy of the spiritual and historical burden of Islam and were at the same time ready to interpret this message in accordance with the laws and principles of God. The language helped them interpret everything around them according to their own desires. They fell into a serious intellectual, contractual and historical slippage. The attempts of some of the enlightened ones have not succeeded in tightening the polarity of the relationship between non-Arab Muslims and their Arab counterparts. Within the framework of compromise, and make it the historical carrier on which this nation is based. Only slightly and clearly the shape of the relationship is sometimes extended and sometimes undermined, negatively or equitably. While the goal of Islam and its goal is the total fusion of people, races and customs in the crucible of integration and interaction, so as to avoid the human tremors and the scruples and interactions that fragment the wall. Sociological (political), reflecting a social reality of various races and ethnicities, acknowledged that the social status of Andalusia (the orbit of research) can not be forgotten in the formulation of state policy and direction.

توطئة:

اعتقد العرب- في ذاتهم- أنهم أهل للحمولة الروحية والتاريخية للإسلام، وهم في الوقت عينه أهل لتفسير هذه الرسالة وفقاً لقوانين الله ومبادئه. وقد اعانته اللغة في ذلك في تفسير كل ما هو حولهم على وفق أهوائهم. فوقعوا في منزلق فكري وعقدي وتاريخي خطير. لم تفلح محاولات بعض المتتورين منهم ، في إحكام قطبية العلاقة بين المسلمين (غير العرب) وسواهم العرب. في اطار توقيفي، وجعلها الحامل التاريخي الذي تركز عليه هذه الامة. الا قليلاً واضى شكل العلاقة يتمدد حيناً ويتقوض أحياناً أخرى، سلباً أو ايجاباً. في حين كان هدف الاسلام وغاياته الانصهار الكلي للأقوام والاجناس والاعراف في بوتقة الدمج والتفاعل، ليجنب البشرية الهزات والانكفاءات والتجاذبات التي تشظي جداره. فالسوسيولوجية^(١) السياسية التي تعكس واقعاً اجتماعياً متنوع الاعراق والاثنيات أقرت بالقول :إنه لا يمكن بأي حال من الاحوال تناسي الوضع الاجتماعي للأندلس (مدار البحث) في رسم سياسة الدولة وتوجهاتها. فكما نعلم ان السياسة (دستور وضعي استمد اصوله من الدستور الاجتماعي (الاعراف والتقاليد). وحركة المجتمع، وأصوله واثنياته. فمن العسير_ إذن_ أن نقفز على حقائق مجتمعية متأصلة في الذهنية الأندلسية، مالم نَعول على عملية حرث فكري تركز على اليوميات والاحداث التي رافقت، أو تمظهرت بسبب الفعاليات اليومية المستدركة في ردود أفعال الناس في مجتمع متعدد الرؤى والأعراق.

فالدراصة السوسيولوجية، وفقاً لما اتفق عليه علماء الاجتماع^(٢) هي ملاحظة المجموعة الاجتماعية وسلوكياتها ، ملاحظة شمولية والفاعلون هنا، لا يعرفون حقيقة ما يفعلون ولماذا ولا الأسباب الموضوعية التي تقودهم إلى الفعل. وذلك بعد الانقياد لمعطيات ثلاثة متوافرة هي السياسة العامة (السلطة) والدين، والناس. لاسيما بعد أن وُظفَ الدينُ ليكونَ سلطةً أخرى تدعم الطرف الأول. فيمتلك الطرف الثالث خوفاً من المقدسين: السلطة والدين، فيغدو في حالة من الرهبة والخوف من كليهما. ويتحول الى آلة سُلبت منها إرادتها وقمعت عواطفها وتمظهراتها. وكُسرت أفكارها. واضى هؤلاء في حالة من الاضطراع الداخلي بين تطلعات مكبوتة وبين تهميش مُذل. ويزداد الأمر سوءاً عندما يوظف رجل دين نفسه بوظيفة الاتصال الروحي بين العبد والرب. وهذا ما حدث في الأندلس عندما أضى الخليفة (الأمير) السلطان، الحاكم بأمر الله، الغالب بالله، المعتمد بالله، المقتدر المتحكم بالرقاب والآمال. متعكراً بذلك أيضاً على الأرومة التي تتصل بالنسب القريشي المحمدي -غالبا- كما يرى ذلك ابن رشيق القيرواني: (من البسيط)

مما يبغضني في أرض أندلس سماع مقتدر فيها ومعتضد

القاب مملكة في غير موضعها كالهـر يحكي انتفاخا صولة الأسد

ويحضرنا قول ابن هاني الأندلسي في الخليفة المعز. في هذا الاطار أيضاً:

ما شئت لا ما شئت الأقدارُ فاحكم فأنت الواحد القهار^(٣).

نحن ندرك_ تماماً_ أن ماولة لي الحقائق أوابتسارها لا تتماشى مع الواقع الذي تظهر فيه الاسلام كمعطى جديد في الجزيرة العربية. فلا يمكن_ بتاتا _ الجزم بأن أمة الاسلام قد نزلت متكاملة من السماء في الجزيرة العربية. لو لم تكن هناك أمة تحمل هذه الرسالة وتنتشرها للأخريين. وكذا في إدارتها لها لاسيما في بداية نشوئها وتكوينها. أي أن هناك قطبُ تركز حول المسلمين الأولين، وقطب آخر سعى المسلمون لإقناعه بضرورة الانصهار في بوتقته وهم غير العرب: "وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم"^(٤). فالقطبان المركز والهامش بهما حاجة إلى عقل مدبرٍ قادرٍ على الإدارة وفق منهاج التقوى الذي أشارت اليه الآية الكريمة. ويبقى تكريم الله للعرب في اختيارهم رسل البشرية وحمل الرسالة، بلغتهم العربية تكليفاً وتشريفاً، وإن الاسلام يُعد إضافة مهمة إلى تفكيرهم ووعيهم وإنهم كالأقوام الأخرى سيلقون المصير نفسه في مبدأ الثواب والعقاب. فإذا وعى العرب ذلك سيجنبون أنفسهم الوقوع في مزالق التباين والتضاد والتصادم مع الآخر ويتخلصون من نزعة الاستكبار والاستعلاء والامتلاء التي ورثوها من قبل. أو تلك التي تلح عليهم بالظهور كل حين. فَمَنَحَ العرب أنفسهم مكانة تفوق الآخرين لاسيما في العصور التي تليت الحقبة الزمنية التي ظهر الاسلام فيها. واعني بذلك الدولة الاموية على وجه الخصوص. بينما كان العقل الجمعي المتطور الذي حمله الرسول الاكرم (ﷺ) ومن بعده الخلفاء الراشدين (رض) هو السائد. فأسسوا دولة قوامها العرب لاعتبارات موقع نزول الرسالة حسب. وفتحت احضانها لسواهم. وكم كان الرسول الاكرم عبقرى باختياره بلالا ليؤذن بالناس ليضع منهاجا لهذه الامة: أن لافرق بين الاسود والابيض والعبد والسيد. وإن الاسلام دين عالمي وهاهوذا الحبشي منا وتحت لوائنا.

إن أول إيماءة أوجبت ذلك الشعور المؤلم عند المسلمين من البربر ، وزرعت اسفين الصراع والتأزم بين أقوام المسلمين أجمع، فيما بعد . ما قام به موسى بن نصير (العربي المسلم) باعلام الوليد بن عبد الملك بن مروان، بأن الفتح قد تم على يده. متناسياً تلك الجهود الجبارة والعقلية العسكرية المتقنة لقائد الجيش طارق بن زياد (البربري) وجنده الذين فاقوا العرب عدة وعديداً وصلابة^(٥) حتى توجت تلك الانتصارات بقتل (لذريق) الاسباني والاستيلاء على قرطبة، معقلهم. مما فتح الباب واسعاً مهيعاً أمام الانتصارات اللاحقة. فشعر طارق بأمر موسى بن نصير ومحاويلته لصق النصر بالعروبة^(٦) بصفة عامة، وله بصفة خاصة. وعلم- كما يبدو- أن الاسلام والعروبة قطبان لا قطب واحد فقال له: إن هذا الفتح لك وبسبك^(٧). ووعى حقيقة أخرى أيضاً أن ما جاء بجل الفاتحين إنما هي الغنائم وما يندرج تحتها من مكاسب أخرى. فجلب لسيده غنائم وأموال فاسترضاه^(٨). فالسياسة التي اضطلع بها موسى كانت تتسم بالقوة وغلق الطريق أمام أي محاولة للبربر في الوثوب نحو السلطة. وقد برر تلك السياسة الاقصائية نفرّاً من الباحثين^(٩)، لمنع البربر من الارتداد مرة أخرى

لما جبلوا عليه من طبيعة بدوية غير مستقرة في تفكيرها وإسلامها. ونحن نرى غير ذلك إذ نرى أن التفرد بالسلطة واللاهات وراء المغانم^(١٠) سبباً لذلك متعزلاً على نسبه العربي الذي يمتاح منه. وما اختياره لطارق بن زياد قائداً، إلا ليقينه بفطنته، ومقدرته، فضلاً عن حظوته بمكانة بين أبناء جلدته. فيسوسهم رجلٌ منهم وفيهم "بما يوافق طباعهم وأهواءهم وشعورهم بالثقة والأمان"^(١١).

وظهرت وفقاً لهذا التوجه منافحات تفوح منها رائحة التفاخر القبلي في بداية الفتح، بعد أن أجج الفاتحون العرب الخلافات بين اليمانية والمضرية. وما أبيات أبي الخطار الكلي والي الاندلس (ت ١٣٠هـ) إلا مظهر واضح في بيان ذلك التفاخر على حساب الاسلام فقال^(١٢) (من الطويل)

- أفادت بنو مروان قيساً دماءنا وفي الله إن لم يعدلوا حكم عدل
- كأنكم لم تشهدوا مرج راهط ولم تعلموا من كان ثم له الفضل
- وقيناكم حر القنا بنفوسنا وليس لكم خيل سوانا ولا رجل

والأمر نفسه بدا جلياً في أبيات الشاعر سعيد بن جودي^(١٣) الذي استشعر بهذا الشقاق والخلاف فدعا إلى التوحد ونبذ الانقسام بين العرب بعد أن شبت نار الفتنة جذعةً في كورة البيرة وجيان. وسنقف على أبياته في موضع لاحق.
غاية البحث وهدفه:

١. حاولت هذه الدراسة تتبع ملامح العلاقة بين العرب والبربر بمختلف اشكالها وصورها من خلال منهج تاريخي يقوم على استقراء النصوص وما شكلته النماذج الشعرية التي وصلت إلينا-على نزرها- لتكشف عن سرائر مخبوءة لتلك العلاقة التي شابها مس من الاقصاء والتهميش. بعد أن علت الأنا العربية وتضخمت ذواتها. وعلا نصّها الأدبي على سواها.

٢. إنّ جل الدراسات في الأدب الاندلسي أو تاريخه، رسمت لنا صورة ايجابية عن تعايش سلمي ومجتمعي بين أقوام الأندلس على اختلاف أعراقها وأديانها، ولغاتها ولم تُظهر المسكوت عنه في تلك العلاقة التي سادها شك وريبة من الطرفين على الرغم من اشتراكها في مفصل يدعو إلى التماهي والاندماج مع بعض وأعني به الاسلام. ومهمتنا هنا استمراراً لبحث آخر بينّا فيه حقيقة التعايش بالأندلس. قراءة ثانية.

٣. ما يثير التساؤل والمفارقة على حدٍ سواء، أنّ علاقة العرب مع الآخر الديني (اليهود- المسيحي) كانت أكثر ايجابية وتواد من علاقتهم بالبربر المشترك معهم دينياً. ولعلّ وراء ذلك منعطفاً سياسياً،

ستجيب عنه السطور اللاحقة من البحث. يتمثل بكسر شوكة البربر - على الدوام - وإبقاء تلك الندية والتضادية مع كيان السلطة. بعد أن أثرت الفتن المبيرة بين الفينة والأخرى. فعمدنا على إظهار تلك العلاقة من خلال النصوص الشعرية. فتبعاً لذلك قسمنا بحثنا على مبحثين هما:

أولاً: العرب والإسلام (الأرومة والتسلط).

ثانياً: العرب والبربر (تهاوش وتشبث) العرب والإسلام (الأرومة والتسلط):

نؤمن ايماناً منقطع النظير أن وجود الآخر ضرورة لوجود الذات. فمن خلاله تبني الذات عوالمها الايجابية أو السلبية. ولتعدّه مقياساً لرقبها أو انكفائها. ولذلك لا بد من العيش في صيرورة تحدد أطرها العلاقة بينهما. وأن أي اختلال في تلك العلاقة فإن كفة الميزان تميل نحو السلبية (التهميش والاقصاء) واشعار الآخر - على الدوام - بالانتماء.

فما انبرى لنا في حفريات العقلية الاندلسية التي حكمت منذ الفتح حتى السقوط، أنهم لم يحسنوا ادراك اهمية ابقاء التوازن عاملاً فاعلاً لتقوية أركان الأمة الناشئة في اوربا، وسط (عدو) فاغر فمه لالتهامها، فراحوا يشمرون عن سواعدهم. فخرأ في النسب والأرومة والثأر غير أبهين بشعور الشريك (البربر) في المعترك والبناء (البربر) فظهرت صيحات الاستعلاء والامتلاء عالية في شعر أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبى التي وقفنا إزاءها في موضع متقدم حينما قال^(١٤): (من الطويل)

فليت ابن جواس يخبر أنني سعيث به سعي امرئ غير عاقل

والأمر نفسه- لكن أكثر ايلاماً- في واقعة (حسن بن قنون)^(١٥) مولى (الحكم) في مدينة الزهراء (بالحسنية) البربرية الذين استقدموا من المغرب لمؤازرة (الحكم)^(١٦). فإذا به يعدمهم عبيداً، وجب قتلهم لانتقاء الحاجة منهم. فكان يطرح من يظفر به من ذروة القلعة إلى الأرض فيقتلهم. وقد وصف شاعره محمد بن شخيص فعلته هذه مفتخراً وبالعبيد متوعداً، مُطلقاً للسانه العنان واصفا اياهم بأبشع الأوصاف، طاعناً بنسبهم الهاشمي قائلاً^(١٧): (من البسيط)

أشابة تدعي في هاشم نسباً	وما يصحُّ لها في معشرٍ نسبُ
عُميُّ البصائر لم يُسلس معاطفها	إلى مساعي النقي دينٌ ولا حسب
وزادها في عِماها أن أولها	ألقي العصا حيث لا علم ولا ادب
ولو غدت من قریش دوائبها	لأوجبت نفيها الاحداثُ والريب

فتضخم الذات العربية واضح هنا أمام اضمحلال الآخر والغاءه بالاستناد إلى حقيقة الانتماء والتجذر التي غالباً ما تكون القاعدة التي يركز عليها الشعراء سواء، أكانت مرجعيتهم هذه فطرية نمت بالمجتمع أو في بعض واحاته (المجدبة) أم ارتكزت على ثقافات تاريخية متوارثة.

ويبدو أن الأمير عبد الرحمن الداخل^(١٨) قد تناسى همومه والامه عندما هم في إعادة ملك اجداده (دولة بني أمية) بالأندلس فراح يعزف على الوتر القبلي الذي الفيناه في المنافحات القبلية إبان الجاهلية وعهد اجداده في دمشق. فانزاح عن هدفه الذي رسمه في إقامة دولة اسلامية وفقاً للمفهوم المتعارف عليه بإقامة حدود الله ديناً ودنيا وعقيدة ونظاماً. يتساوى فيها البشر. فتوجهت (الأنا) من جديد على حساب الاسلام (العام) قائلاً^(١٩) (من الكامل)

أبني أمية قد جبرنا صدعكم بالغرب رغماً والسعودُ قبائلُ
ما دام من نسلي إماماً قائمٌ فالملك فيكم ثابتٌ متواصلُ

فكس لنا-وبما لا يقبل الشك- نظرية جديدة في بناء الدولة الاسلامية تقوم على سلطة تربط المقدس الديني بها لتكتسب صفة ملازمة لها وهي القداسة على مر الازمان والعصور. فلا يجرو-حينئذ-أي من تركيبة المجتمع المتخالفة معها، لا سيما غير العربي على التفكير بالسلطة. أو حتى الطعن برؤيتها وتوجهاتها لارتباطها بالهيمنة المشروعة (هيمنة الدين) المتلبس بالسلطة على المقدرات. مع اصرار واضح من لدن الشاعر الأمير على مبدأ التوريث بالحكم بعد أن أصل الملك في بني أمية دون سواهم. متناسياً في الوقت عينه مراعاة الجانب الشعوري للبربر ولخدماتهم الجليلة التي قدموها له بعد أن التقوا حوله خليفة مسلماً. قبل عبوره البحر خاصة في الحقبة الزمنية التي فقد فيها العضد والساعد من العرب. فثارت بوجهه الثورات الراضية لإعادة مجد ذوى كما ذكر ذلك المقري "واستكثر منهم ومن العبيد، فاتخذ اربعين الف رجلٍ صار بهم غالباً على اهل الاندلس من العرب. فاستقامت مملكته وتوطدت"^(٢٠).

والأمر يكاد أن يكون نفسه مع الشاعر ابن الجزار السرقسطي الذي أصرّ في أبياته على المبالغة والفخر بالنسب العربي. والخط من منزلة البربر، مع علمه بأهميتهم في تحقيق النصر قائلاً^(٢١): (من الطويل)

إذا كان منا واحدٌ في قبيلة كفاهها وإن ضاق الخناق حماها
ولسنا كأنتم إن أملت كريمةً جزعتم وقلتم من يحلّ غراها
فالتعريض واضح بالبربر (أنتم).

ولوح في موضع آخر بنسبه وارومته -بطريقة استفزازية- بالقدرة على المطاولة بالقتال... طبعاً ليس قتال الآخر المسيحي المختلف معه عقائدياً الفار منه. وإنما قتال ابناء المسلمين قائلاً^(٢٢):

إذا ما غزونا ارض آل عنيزة غزت معنا عقبانها ونسورها

وإن نحن نازلنا الكتائب أدبرت وطارت ميامينا عليها طيورها
تقاسمهم أسيافنا شر قسمة ففينا غواشيم وفيها صدورنا

نلاحظ مما تقدم إذا ما اصطدمت العروبة مع الاسلام في معادلة الأفضل. فإنّ الكفة تميل مع العروبة حتى يتماهى الاسلام فيها ويغدو ضامناً للشرعية والمقبولية في مواضع كثيرة، ليس مع البربر، حسب وإنما مع المولدين أيضاً. ونص ابن حيان في مقتبسه كان جلياً واضحاً في تبيان تلك العلاقة فقال: "اشرأبت نفوس الناس إلى فتنة، وتفاقم في هذا الوقت ما بين العرب والمولدين والعجم واستعملوا العصبية وتميزت احزابهم بعضهم إلى بعض بكل جبهة. فعادوا إلى الجاهلية. وتسافكوا الدماء. ودانوا بالاستباحة. وتخربت المسالمة مع المولدين وتميزت اليهم نصارى الذمة. فصار جميعهم إلماً على العرب"^(٢٣).

ولم تقتصر نظرة الاستعلاء على الشعراء حسب، وإنما امتدت لأئمة الفقه وعلوم الاعتقاد كعثمان بن عبدالله القيسي القريشي^(٢٤) الذي كان لا يأمن بربرياً، ولا يرى فيهم نجاحاً حتى لو بلغوا شأواً في العلم والتبحر. لاحظ اسلوبه الاستفزازي في قوله^(٢٥): (من البسيط)

خذوا ضماني ألاّ تغفلوا أبداً ولو شربتم مداد الكتب بالصحف
أنتم صغار كبار عند أنفسكم هل يستوى من يقيس الدر بالصدف

وتعالّت صيحات أعيان (البربر) بوجوب الهجرة من الاندلس والعودة إلى المغرب لما ألفوه من العرب استخفافاً وتهميشاً وغدراً. فهاهوذا زاوي بن زيري الصنهاجي^(٢٦) الذي احرز النصر على المرتضى الأموي وجمع من الاندلسيين. صمم على مغادرة الاندلس فغادرها سنة ٤١٦ هـ خشية منهم "اعدائنا الذين لا يغفلون عنا لاسيما وقد فرقنا قومهم ونبشنا احقادهم المدفونة بيننا، فأن فرغوا لنا على قلة عددنا او ظاهروا علينا الاندلس وقعنا منهم بين لحيي أسد فاصطلمونا وها أنا قد أديت لكم النصيحة وأنا راحل عن الأندلس. فمن أطاعني فليرحل معي"^(٢٧).

إن شعور العربي الدائم بأن الله اختار العروبة منطلقاً لحمل الرسالة الالهية ، لا لأن الله صرف الأقوام الأخرى ، بل لأن العرب هم الأسياد الذين يجدر بالأقوام الاخرى إطاعتهم والانسحاق مع تطلعاتهم. فتضخمت عندئذ تلك العقدة النفسية بالتفوق متعكراً على تفاسير غير دقيقة للقرآن الكريم "وكنتم خير أمة اخرجت للناس". الدخان/٣٢ وفي الوقت عينه تغافلوا عالمية الاسلام ودعوته السمحاء وذلك ما نجده في قصيدة ابن خفاجة: ^(٢٨)

في ضمان المشرفي به وقعة للغرب في العجم
فتكة في الروم قاصمة ظهّر عز الروم والصنم

وقوله:

من قريشٍ في الصميمِ ومنْ
حملت زهو الكمال به
فتية الهيجاء في الصمم
دولة قامت على قدم

وحاول ابن سيده^(٢٩) أن يجبر خواطر سيده المعتقد بن عباد عندما انقطع به المدد العربي من قبل المشرق، مذكراً إياه بالأرومة العربية التي تضرب بجرانها عمق التاريخ، مقابل (شذاذ آفاق) قدموا من وراء البحر فاقتادوه اسيراً في مسعاهم لإعادة الهيبة للإسلام بالأندلس بعد حالة التشطي التي شهدتها دول الطوائف، فقال مضمداً تلك الجراحات من جهة، ومثوراً رماد العصبية من جهة أخرى^(٣٠) (من الكامل)

فنحن ركب من رجال المشرق
مالت بنا الأيام نحو المغرب
أكارم الأنفس لُد المنطق
مهما يُشَرِّقُ كوكب نُعَرِّبِ

يبدو أن العرب الفاتحين سلبوا الدولة الأموية عزفوا على نغمة التفويض الإلهي في سلطة مستبدة، تحكم الرقاب دونما اكتراث لسلطة الاسلام وتوجهاته السمحة، وأن الرعاية تبقى وفقاً لذلك تابعاً الى ما تشاء السلطة. وإن الرؤية الاسلامية التي تتخذ التقوى معياراً واساساً تتحطم عليها الولاءات العربية والعصبية القبلية والتراتبية الوراثية، قد واجهت صعوبات جمة، في الاوقات التي انضوت الى الاسلام قوميات أخرى. خلب لبابها تلك الروح المحمدية اللطيفة التي الغت حواجز اللون والعرق. فضاء ذلك التوجه الرسالي وانعكس سلباً على الواقع الأندلسي. ساعد في ذلك انزواء الدين جانباً حيناً أو استعمل سوطاً في احايين كثيرة ويبدو أن حظ الأندلسيين كان ضعيفاً إذ ترافق ظهورهم كمعطى جديد في الخريطة الاسلامية. مع تعاظم الدور الأموي في مشرق الأمة في عهد عبد الملك بن مروان، الذي أعده المفصل في قطبية معادلة الاسلام والعروبة ليس في الأندلس فحسب وإنما في التاريخ الاسلامي اللاحق حينما أعلن صراحة مقولته المشهورة "هذا آخر العهد بك"^(٣١) وهو يطبق دفتي المصحف الشريف فانتهى بذلك عصر النبوة المحمدية والخلافة الراشدة وبدأ _ ساعتذاك _ عهد العصبية القبلية المتجددة. وهذا ما لمسناه في علاقة العرب والاسلام في صقع الأندلس.

موقف البربر من العروبة والاسلام:

إذا عددنا الاسلام العمود الذي يحكم معادلة العرب والبربر في حقيقة الانتماء لصقع الأندلس فإن هذا العمود لم يكن مستقيماً في تعامله مع قطبي تلك الثنائية التي شكلت نسيج الأندلس (البربر، العرب) ليس بسبب الاسلام، (ديناً ومعتقداً) بل بما عكسه متعاطوه ومريدوه وانصاره في تعاملهم مع الآخر غير العربي متعكزين على تفاسير لآيات أو أحاديث جُلها موضوع أو محرّف أو سنده ضعيف لتشكل إطاراً دينياً غالباً ما يلجأون إليه في الحط من شأن البربر. فتضخمت الأنا عندهم، وعلت النعرات العرقية والاقليمية. فمن تلك الأحاديث قول الرسول الأكرم (ص) حكاية عن أنس بن مالك "وجئت الى النبي (ص) ومعي وصيف بربري. فقال يا أنس بعْه ولو بدينار. فقلت له: ولم يارسول الله قال: إنهم أمةٌ بعث الله اليهم نبياً فذبحوه وطبخوه، وأكلوا لحمه وبعثوا من المرق الى النساء فلم يتحسوه . فقال الله: لا اتخذت منكم نبياً ولا بعثت فيكم رسولا" (٣٢) وقوله ايضاً بسند احمد بن حنبل عن ابي هريرة، فقال: "جلس الى النبي (ص) رجلٌ فقال له رسول الله (ص) من أين انت؟ قال: بربري. فقال له رسول الله (ص) قم عني قال بمرفقه كذا. فلما قام عنه. أقبل علينا رسول الله (ص) فقال: إن الإيمان لا يجاوز حناجرهم (أو تراقيهم) (٣٣)

كما أن المرجعيات التراثية العربية، هي الأخرى نظرت الى البربري نظرة استعلاء واذلال على نحو ما نرى في مقولة الجغرافي والأديب ياقوت الحموي وهو يستعرض مثالب البربر قوله: "والبربر أجفى خلق الله ، وأكثرهم طيشاً واسرعهم الى الفتنة" (٣٤) . ويحتج كتاب طوق الحمامة، اشارات كثيرة تحط من قدرهم ومكانتهم ترجع أصولها الى السنة النبوية الشريفة (٣٥) . أما البربر فإنهم يرون عكس ما يراه العرب في ذلك وغالباً ما يستشهدون بالقصة التي حدثت مع الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد أن سمع بنفرٍ من المغرب. سألهم من أين أنتم قالوا: "بني مازيغ" وأنهم بربر من نواحي المغرب. فسألهم وأجابوا حتى بكى فقال: كنتُ مع حبيبي رسول الله (ص) في بعض مغازيه. فنظر الي. فقال ما ييكيك يا ابن الخطاب؟ قلتُ يارسول الله، قلة الاسلام في الأمم فقال لي: ابشر يا ابن الخطاب ان الله سيعزُ الاسلام والدينَ بقومٍ يأتون من المغرب ... في اشارة الى البربر (٣٦).

وسواها كثير من تلك القصص والاحاديث التي احتجها كتاب المفخر... مع عدم إطمئناننا لها. وإذا ما يممنا وجهنا شطر تلك الأحاديث المروية في جانبها الديني الروحي. فإننا نجد- أيضاً- سجلاً حافلاً بالانتقاص من البربر، حفلت به القصائد التي تنفث سموماً وعصبية مقيتة، كقول الشاعر سعيد بن جودي (٣٧) في قصيدته التي يرثي فيها صديقه الشاعر (العربي) سوار بن حمدون الذي قتل على يد البربر. وقيل على يد المولدين. أذ رجع الى عصبية المعهودة فناها في اشاراته الواضحة، على عدم كفاءة المقتول

مع العبيد (البربر) حتى لو افتدوا ألوفاً، وذلك خروجاً عن الروح الإسلامية القائمة على التسامح والاقتصاص من القاتل حسب. فقال^(٣٨): (من الخفيف)

هجتُم يا بني العُبود ليوثاً لم يكونوا عن ثأرهم بقعود
جاءكم ماجدٌ يقود اليكم فتيةٌ زادة كمثل الأسود
قد قتلنا منكم ألوفاً فما يع دل قتل الكريم قتل العبيد

وقتل البربري - كما يرى - إنما تخلص القوم من ادران الجاهلية التي يتبناها البربر: فقال^(٣٩):
(من الطويل)

أرومته من خير قيسٍ سما به الى المجد قدماً والغلا كل فاضل
له سورةٌ قيسيةٌ عربيةٌ بها زاد عن دين الاله كل جاهل
ولم يخرج الشاعرُ المرتضى المرواني^(٤٠)، الأموي الناصري عن هذا المعنى في
قوله^(٤١): (من السريع)

قد بلغ البربرُ فينا، بنا ما أفسد الأحوال والنظما
كالسهم للطائر لولا الذي فيه من الريش لما أصمى
قوموا بنا في شأنهم قومةً تُزيلُ عنا العار والرُغما
إما بها نملكُ، أو لا نرى ما يُرجع الطرف به اعمى

وهو تلميحٌ واضحٌ لما آل اليه أمر المدن الأندلسية الكبرى بعد أن استحكم أمرها البربر كغرناطة لباديس بن حبوس وقرمونة^(٤٢) للبرزالي، ورندة^(٤٣)... وسواها من المدن.

فالمقطوعة إذن أماطت اللثام عن وجه الامارات العربية المتعاقبة على حكم الاندلس. التي ترى ان السلطة لا تخرج من البيت العربي، مستندين في سلطانهم هذا على مبدأ القرابة من الرسول والقبيلة المختارة المطهرة من الرجس. وأن الخليفة ظل الله على الأرض وما على الآخرين إلا الطاعة العمياء. وفيها دعوة صريحة (قوموا) (قومة) للحرب والافتتال من اجل السلطة والقيادة ويبدو أن الجنوح الى السلم، والايمان بان التقوى هي المعيار في إقامة حدود الله قد تعكر صفو أحلامه لاستحالة تحقيق آماله العريضة في الامتلاك والاستفراد في زمن السلم.

أما الشاعر الأمير سليمان المستعين^(٤٤) فإنه يقسم بعد أن عقد مظاهرة مع -الافرنج- أن يبدد جمع البربر. وان يخرجهم من الملة المسلمة - حتى وإن كلفه الأمر أن يتحالف مع عدوه ضدهم فاستباح عقر دار البربر بقرطبة سنة (٤٠٣هـ) فقال^(٤٥): (من الطويل)

حلفتُ بمن صلى وصام وكبرا لأغمدُها فيمن طغى وتجبرا

وأبصرُ دين الله تحيا رسومه
فوا عجباً من عبثي مملك
فلو أنّ أمري بالخيار نبدثهم
فإما حياةٌ تُستلذُّ بقدِّهم
فبذلّ ما قد لاح منها وغيرًا
برغم العوالي والمعاني تبريرا
وحاكمثهم للسيف حُكماً محرراً
وإما حِمامٌ لا نرى فيه ما زرى

ومهما يكن من أمر فإنّ اللوثة قد أصابت البربر في مقتلهم وأرومتهم ونسبهم. مثلما أصابت سلوكهم وأخلاقهم بما لصقوا فيهم من معاني الذل والهوان ما يندى له الجبين متتاسين قوله تعالى: (ولا تتابزوا بالالقباب بسئ الاسم الفسوق)^(٤٦). كل هذا كان مدعاة لازاحتهم عن كرسي السلطان وأضحت فضاءات الهويات الأندلسية المتعددة تنظر اليهم نظرة شك وريبة. لا سيما ممن كان السواد بادياً على محياه. فالشاعر يحيى القادر بن ذي النون قد ملّ من تلك الحياة في حياضهم، ففر عنهم الى الثغر الاعلى^(٤٧). فقال^(٤٨):
(من الطويل)

لئن طبثتم نفساً بتركي دياركم
إذا لم يكن لي جانب في دياركم
زعمتم بأنّي لست فرعاً لأصلكم
وحسبي إذا ما البيض لم ترع نسبةً
وإن مدّت الأيام عُمرِي للغلا
فنفسي عنكم بالتفرق أطيبُ
فما العذر لي أن لا يكون تجنبُ
فهلأ علمتم أنني عنه أرغبُ
بأنّي الى سيفي ورمحي أنسبُ
يُشرقُ نكري في الورى ويغربُ

ورمى المعتمد بن عباد المرابطين ممن استنجد بهم فأنجده. رماه بالغدر والخيانة والغش، وهي الاوصاف نفسها التي غالباً ما تلصق بالبربري. متناسياً أثرهم الفاعل في تصحيح ما التاثت به أمور الأندلس، وتذكك عقدها إبان الطوائف، وعلى رأسها امارة اشبيلية. فدخولهم إنما هو محاولة جادة من أولي الأمر في عدوة المغرب لتصحيح الأوضاع. ونقطة تحول في الحياة السياسية للأندلس قاطبةً. أما قول المعتمد بالمرابطين (البربر) فهو^(٤٩): (من البسيط)

ما الذنب إلا على قوم ذوي دغلٍ
قوّم نصيحتهم غشّ وحبهم
تميز الغيظ في الألفاظ إن نطقوا
إن يحرق القلب نبزاً من مقالهم
وفى لهم عفوك المعهود اذ غدروا
بغضٍ ونفعهم إن صرفوا ضررُ
وتعرف الحقّ في الالفاظ إن نظروا
فإنما ذاك من نار القلى شرُ

وأبقى الشعراء العرب جذوة الشعوبية متقدة على الدوام مهما غطى عليها زبد التعايش المقترض. فسمع نعيق اصواتها من جديد في شعر سليمان حميد الغافقي^(٥٠) الذي عُدّ إمام زمانه على وفق رواية ابن الأبار^(٥١). وفارس العرب قاطبة في المغرب وأحسن الناس لساناً. ولنستمع الى قوله في البربر، ومحاولته

اذلالهم. وعاد التلويع بالسيف والاقتتال من جديد (الحرب) (النار) (البأس) (الرماح) (الموت) ... وسواها وهو المعجم اللفظي الذي إلفه غير العرب من شعراء العرب. فقال معرّضاً بالبربر في يوم (أبي زرجونة)^(٥٢) فقال^(٥٣):

و ما إن صددنا عنهم خوف بأسهم
وإنما إذما الحربُ اسعر نارها
ونغدو بصبر حين تشتجر القنا
ولكن أردنا ذل قوم تطاولوا
وحاشا لنا أن نتقي بأس بربرنا
لنلقى المنايا دارعين وحسرا
فلست ترى منا على الموت أصبرا
علينا و أبدوا نخوة وتكبيرا

فالعصبية الجاهلية استحضرت من جديد- كما يبدو- مع محاولات الاسلام محوها عبر سيرورة التاريخ الاسلامي. فعلى الرغم من أن الفتح الاسلامي بالأندلس قدّم انموذجاً اجتماعياً و اخلاقياً واسعاً من قبل البربر وبعض العرب إلا أن تلك النبرات المقيّنة ما انفكت تظهر بين الفينة والأخرى بعد أن اختزلت حقيقة ذلك التمزق والصراع اللذين خلفاً نزيهاً من الدماء وركاماً من تاريخ مؤلم أطرته تلك المنافسة على سلطان ذاهب. فالنفثات الشعرية المتشحة بروح التفاخر بين العرب والبربر أفضت فيما بعد- الى حالة من التأزم السياسي حتى غدا صليل السيوف صدىً لصرير الاقلام المسمومة وعند الرجوع الى حفريات الذهن لا سيما في الحقبة التي اقبل فيها البربر على دخول الاسلام، فإننا واجدون اقبالاً منقطع النظير بعد أن كفل الاسلام لهم حرية الدين والاعتقاد على وفق اسس سمحة نبيلة لا تتطلب سوى الانقياد نحو السلام قلباً وقالباً. والايمان الصادق ماكان صادراً من يقين واقتناع. ولحبّ البربر للاسلام اتخذوا من لغته العربية لغتهم لا سيما في الجانب الابداعي منها فتحولوا عندئذ الى اقوام مستعربة تتأققت مع الحي العربي لغة وعادات وتقاليده بيد أن هذا كله لم يمنع العرب من ذوي العقول المضطربة التي اعتاشت على حفريات الماضي وسلبياته أن توجج النظرة الدونية لهم، وان تشعرهم بالانتماء للاسلام أولاً وللمحيط العربي ثانياً. بل أن بعضهم كابن الحاجب مثلاً عدّهم فيئاً للمسلمين وريقاً^(٥٤).

ومما وجب الاشارة اليه ان الخلاف بين العرب والبربر لم يكن حكراً على اصحاب النفوذ السياسي ومن لفّ لفهم من سلاطين وامراء وحاشية. وإنما سرى في نفوس العامة ايضاً مبتعداً عن النهج الاسلامي. وهذا ما وقف عنده علماء السوسولوجيا الاسبان في بحثهم^(٥٥). فالتعنصر المقيت نفسه منع اهالي قرطبة من الصلاة وراء القاضي ابي عبدالله عمرو البربري سنة ٢٥٠هـ. فشقّ عليهم ذلك، وتأثروا منه، وتكلموا فيه. والوضع نفسه تجدد عندما رفضوا الصلاة خلف الامام أبي موسى الهواري متعكزين على مرجعيات سلبية من تاريخ السلف "وكانت الخلفاء (رض) لا يقدمون للصلاة إلا العرب"^(٥٦)

والسخرية الشعبية واضحة في قول الشاعر ابي القاسم الألبيري (السميسر)^(٥٧) شاعر الهجاء الشعبي مثيرا اشمئزاز الناس فيهم فقال^(٥٨): (من البسيط)
رأيتُ آدم في نومي، فقلتُ له أبا البرية إنَّ الناس قد حكموا
إنَّ البرابرَ نسلٌ منك، قال: إذا حواءٌ طالقةٌ إن كان مازعموا
فالصورة التي رسمها الشاعر الهجاء إنما هي منبثقة من واقع اجتماعي لهجت السن العامة فيه ببعض الامثال الشعبية التي تنم عن كراهية واحتقار واضحتين^(٥٩).

ولا يخفي ابن الخطيب الذي طالما ظل يلهج بشعره لكسب ود المغاربة من بني مرين واستصراخهم لانقاذ ذماء الاندلس. لم يخف ذلك الشعور الدفين بالتعصب لقومه العرب ، في معرض استهزائه وسخريته من البربر في مدينة (ماغوس)^(٦٠) واصفاً اياهم بالزنج في اشارة الى عدم قدرتهم على اداء اللغة العربية بصورة صحيحة، قائلاً^(٦١):

ماذا لقينا بماغوس من اللُغَط ليلاً ومن خرس الأجراس والشرط
ومن لغاتٍ حوالينا مبربرة كأننا ببلاد الزنج والنبط

ولئلا نجانِب الصواب، ونحيد عن جادة الحياء، نقول: إنَّ الكره بين الحيين كان مستداماً واضحاً، إذ لا يمكن أن نبرء ساحة البربر من الأخطاء والتجاوزات، ودورهم في الفتنة ايضا . ولعل مقولة المقري توجز ما لم تستطع صفحات من العرض ايصاله إذ قال: "عُرف هل الأندلس ببغضهم وعداوتهم للبربر. فلا نجد اندلسياً إلا مبغضاً بربرياً. وبالعكس"^(٦٢) ومن وصل من البربر الى سدة منصب أو تولى وظيفة مهمة لم يأت من باب الاشفاق والملق، وانما من قدرة وتمكن لاسيما في القرن الرابع للهجرة إذ شهد نبوغاً بربرياً في مجالات العلم والادارة والجيش مما انعكس ايجاباً على حياتهم^(٦٣). من جهة وجفاء واستخفافاً وريبة من جهة العرب. فهم في نظرهم غزاة سارقون. متنافياً تماماً مع الروح الاسلامية التي تركوا دين آبائهم من أجلها وتخلّى بعضهم حتى عن ارومته ليلصقها بالعرب والمسلمين ، والامر كذلك في تبنيهم اللغة العربية لغة لهم ونرى أن وراء هذا الاستخفاف والجفاء منعطفا سياسيا غايته تشويه صورتهم أمام الملأ في معادلة الصراع استحواداً على لسلطة. وتبريراً لفكرة التسلط. ونرى ايضا أن أهم خطأ (ستراتيجي) وقع فيه العرب-آنذاك- عندما ظنوا أن اقبال البربر للإسلام وقبولهم بدعوته، يكون مدعاة لهم باستباحة كرامتهم والتعامل معهم عبيداً أجراء وفق موروثات اثنية وقفنا ازاءها في موضع سابق.

المحنا ان هناك انسجاما بين طبيعة كل من العرب والبربر في حدة الرأي والشجاعة والبأس الشديدين. والتمسك بعري القبلية. فوفقاً لهذه التركيبية السوسيولوجية المعقدة اندلعت الفتنة^(٦٤) في قرطبة حتى امتدت سنياً طويلاً عام(٣٩٩هـ) فاظلمت فيها الافاق وعاث فيها الشقاق والنفاق. حتى أمست الاندلس مدناً متناثرة

واضحى ذلك الناعق بذهابها اعلاناً بتساقط المدن في القرون الأربعة الأخيرة من عمر المسلمين بالاندلس. ولولا ان قيض الله لمجيء المرابطين (البربر) الذين ينتمون الى قبيلة (لمتونة) احدى بطون صنهاجة. فاعادت للاسلام هيئته، ولملمت شتات (الدول) تحت رايتها، فازالت العصبية والزعامات المحلية من خلال منحيين: أولهما بالسيف، والآخر بتثبيت عرى الاسلام ومبادئه الحنيفية^(٦٥). نقول: لولا ذلك لما استطاعت القبائل الاندلسية العربية ان تصمد أمام عدوين يتربصان بها الدوائر (الاسبان، والفساد) اللذان نخرا اركان الاندلس ودويلاته.

كلّ هذا لم يدع المرابطين أن يفكروا يوماً بنسبة الانتصارات اليهم أو الى قبائلها البربرية، بل أننا واجدون نصراً بطعم العقيدة الاسلامية حسب .عكس ما الفينا من تفاخر بالبطون العربية بعصبية مقبلة عندما يحقق العرب نصراً أمام الافرنج، وإن كان جل الجند من العرب. ففي معركة الزلاقة (٤٧٩هـ)^(٦٦) مثلاً تعالت اصوات الشاعر ابن جهور أحد شعراء اشبيلية في ابراز النسب العربي ودوره في تحقيق النصر على الاسبان. على الرغم من ايمانه المؤكد. إن ما تحقق يعود الى يوسف بن تاشفين (البربري) الذي جاز البحر استجابة لنداءات الاستغاثة حفاظاً على المدن الاندلسية فقال^(٦٧): (من البسيط)

لم تعلم العُجم إذ جاءت مَصْمَمَةٌ يوم الغُروبة^(٦٨) أن اليوم للعُربِ

فالبعد (القومي) المتعصب أضحي الركن الركين في اشارة الى يوم الغروبة (الجمعة) وما يمثله من بعد روحي للعرب.

ولم يبعد الشاعر ابن خفاجة عن هذه الروحية المنكرة لفضل البربر فراح عازياً نصر الزلاقة للعرب حسب. مذكراً بأرومتهم مقابل تقزم واضح للنسب البربري او لنسبة النصر للاسلام حتى جعلهم كعصف مأكول . فهو وإن مدح يوسف بن تاشفين أراد أن يلقيه درساً في التاريخ - كما أرى- يقوم على استدعاء كل الرموز العربية دون سواها على نحو قوله^(٦٩): (من المديد)

ملءُ نفس الدَّهرِ من شرفٍ	قد رسأ طوداً على القَدَمِ
وسماخٌ باسِطٌ يده	باليد الطولى من النعم
حملتُ زهو الكمال به	دولةً قامت على قَدَمِ
نهضت في كل مُعْضِلَةٍ	بوجود السعدِ في الخدم

... الخ

ووهم الشاعر ابن حمديس^(٧٠) الصقلي (٥٢٧هـ) أو - قصد- بذكر العرب دون سواهم في دعوته للجهاد، متناسياً ان المستصرخ به بربري وأعني به يوسف بن تاشفين، فقال^(٧١): (من الطويل)

بني الثغر لستم في الوعى من بني أُمي إذا لم أصل بالعُربِ منكم على العُجم

وقوله في موضع آخر^(٧٢): (من الطويل)

علوجُ حشوا في الكفر بالغيط أعيناً وقد ملأوا منها قلوباً سخائماً
أفاضوا من الماذي ماءً عليهم ليطفئ عنهم من لظى الحرب حاجماً
أدرت رحاها دورةً عريضةً تركت عظام الروم فيها هشائماً

فالنصر كما هو واضح عند ابن حمديس نصرٌ عربيٌّ خالصٌ والجند جلهم بربرٍ وقائدهم بربري! فأين العروبة من ذلك؟ نعتقد أن العروبة تظهر حيث تظهر صور القتل والفتك ولظى الحرب لأنها تتناسب مع العقلية التسلطية التي تعاش على رؤية الدم. وهي من مقومات السلطة وثباتها.

وفي مصيدة التعصب ونكران الآخر وقع الشاعر ابن هبون أيضاً بقصيدته الرائية التي تغنى بنصر الزلاقة قائلاً^(٧٣): (من البسيط)

أنتكُر العُجْم أنَّ العرب سادتها وتشهد البيضُ والخطيةُ السُمرُ

وفي المعنى نفسه، وفي غزوة أخرى هي السبطاط (٥٦٩هـ)^(٧٤) ألفينا الشاعر أبا علي عمر الأشيري عازياً النصر فيها إلى العرب دون سواهم مما يوحي بما لايقبل الشك - بأن النفس القائم على الامتلاء والتضخم الذي لازم العربي، مازال ينفث بعصبية مقيبة مرة أخرى، فقال^(٧٥):

(من الكامل)

جيش من الغرب الذين إذا غزوا كوا الأعاجم في الطُلا بعلاط^(٧٦)
قومٌ إذا شمخ العنادُ بأنفسه وضعوا السيوف مواضع الأسواط

فبتشخيص رائع وبأسلوب بلاغي يموج بالفخر عادت العصبية من جديد لتجد لها وعاءً في قصيدة الشاعر الأشيري وتناسي في الوقت نفسه دور البربر ومجهودهم في هذه الغزوة.

وعودٌ على بدء، نقول: لقد سَوَّق الأمويون انفسهم بالاندلس في الدولتين الأولى: بقيادة عبد الرحمن بن معاوية بن هشام (الداخل) والثانية: بقيادة المستنصر عبد الرحمن بن هشام الناصر. على أنهم سليلو قريش البطاح ومن ذوي الارومة الطيبة وانهم حملة الرسالة الربانية فاخترلوا بتسميتهم (بعرب الأندلس) كل المسميات الاخرى غير العربية التي تتدرج تحت لواء الاسلام (كالبربر، والصقالبة، والمسالمة). فأضحى العرب المسلمون مركزاً وماسواهم هامشاً في سيسولوجية التركيبية الاجتماعية فانعكس ذلك سلباً في تعاملهم مع الاقوام الاخرى. وادرك علماء ذلك العصر هذه الثنائية القطبية فراحوا يطلقون على العرب، الاندلس كقول صاحب الذخيرة "اجتمع عليه الفريقان: الاندلس والبرابرة من اهل قرطبة. واعمالها الخاصة"^(٧٧) وماسواهم غير الاندلسيين. وإذا ما اراد أن يتحدث بايجابية عن أي قطر او مدينة فإنه يصف اصحابها بالعرب الاشراف

والسادات والعرق الكريم.... وسواها ولم يصف مدن البربر، بالوصف نفسه^(٧٨). وكذا الامر عند ابن الخطيب والشقندي وابن سعيد.

ان شعور البربر بالنقزم أمام العرب اضحى حالة واضحة في التركيبة الاجتماعية .ومثلها في السياسة والادارة وبدا الأمر جلياً في اختيار البربر للمناصب. فلم يختاروا منهم الا من كان أردلهم وأكثر عبودية وتذلاً، خشية أن يقوى سلطانهم ويتضخم. وقد وقف القرطبي على ذلك في مقتبسه^(٧٩) وأورد امثلة على منح تلك المناصب. وقد مرّ بنا في صفحات متقدمة ، كيف استهجن الشعراء تولي البربر لمناصب كقول المروني^(٨٠): (من البسيط

قد بلغ البربر فينا بنا ما افسد الاحوال والنظما

وهذا التوجه لم يأت اعتباطاً بل ان جذوره تمتد بجرانها الى بداية تكوين الدولة الاموية -ساعاتك- فالامير الشاعر الحكم بن هشام(ت٢٠٦هـ) الذي اتسم حكمه بالسياسة الحازمة وشدة الاقدام وقمع الأعداء . في توطيد دولته^(٨١) - فصال وجال تيهاً وغروراً وفخراً بقتاله البربر الثائرين على حكمه الذي اتسم بالغائهم وتقويض سلطانهم. وهو صاحب الوقعة الشنعاء التي عرفت بوقعة الرض. فقال متفاخراً^(٨٢)(من الطويل)

تُنِيك أني لم أكن عن قراعهم بوانٍ وأني كنت بالسيف قارعا

وإني إذا حادوا سراعاً عن الردى فما كنتُ ذا حيد عن الموت جازعا

حميتُ ذماري فاستبحت ذمارهم ومن لا يحامي ظل خزيان ضارعا

ولما تساقينا سجال حروينا سقيتهم سُماً من الموت ناعفا

فالابيات تنبئ عن حرص اكيد على ابقاء معادلة الاسلام أمام المصالح والسلطان تميل نحو كفة السلطة .فهو لم يقارع عدداً من ملّة اخرى بل انصب قتاله على ادامة السلطان حتى لو أبيد جميع المسلمين . ولا حظ هذا البيت في قوله:(من الطويل)

وهل زدتُ ان وقّيتهم صاع قرضهم فلاقوا منايا قُذرت ومصارعا

ولم يتوان الامير الشاعر عبد الرحمن الداخل(ت١٧٢هـ)^(٨٣) قبله ان يصرح بأن مجيئه للأندلس إنما لاحياء دولة اجداده التي أفلت بالمشرق ولم يكن لبعث الاسلام ودينه الحنيف أية مكانة وتقدير في دخوله الاندلس .داعياً الى أن يكون الحكم وراثياً ومن البيت الأموي حصراً. متخذاً من الأسلوب التقرييري المباشر .والخطابية الواضحة ديدناً لابلاغ الآخر -وبكل مستوياته الفكرية- وليعلن صراحة ان السلطة محصورة فيه وباولاده من بعده. فقال^(٨٤):

والحزم كل الحزم ألا يغفلوا أيروم تدبير البرية غافل؟

ويقول قوم سعه لا عقله خير السعادة ما حماها العاقل

أبني أُمية قد جبرنا صدعكم بالغرب رغماً والسعودُ قبائلُ
مادام من نسلي إمامٍ قائمٌ فالملكُ فيكم ثابتٌ متأصلٌ

مما زاد الطين بلة، كما يقولون في الأمثال إنّ الفتنة التي ظهرت جذعة في قرطبة. واشتد ضرامها وسعيها في زمن محمد بن هشام بن عبد الجبار، استغلها الأمراء العرب في تأليب الموقف الشعبي الرفض للبربر، أصلاً فأعدّ العدة للدخول في معترك معهم. وهم يعمهون في اوصال المعاملة السيئة، والاشعار الدائم بالدونية. مع حذرهم الشديد من الاصطدام بالمدّ الأموي، فاختاروا الابتعاد في مدينة الزاهرة تفادياً لذلك^(٨٥).

على النقيض مما تقدم فإنّ أنفة البربر وكبرياءهم كانت من الصفات الملازمة لهم، وهي تميل حفاظاً على الهوية البربرية أولاً. وتضميدياً للجراحات التي لم تندمل من نظرات المجتمع لهم. ولم يسلم من ذلك حتى وإن حصل على منصب عالٍ لمقدرته فالوزير (سليمان بن وانسوس) كان قد تعرض الى الاهانة والسخرية بسبب لحيته الطويلة فلما رآه الأمير مقبلاً انشد ابياتاً قال فيها^(٨٦) (من الرجز)

هلوفةٌ كأنها جـوالق نكراء لا بارك فيها الخالق
للقمل في حافاتها نفاق فيها لباغي المتكا مرافق
وفي احتدام الصيف ظلّ رائق إنّ الذي يحملها لمائق

ثم قال له اجلس يا بربري. فجلس وقال: "أيها الأمير إنما كان الناس يرغبون في هذه المنزلة ليدفعوا عن انفسهم الضيم أما اذا صارت جالبة للذل فلنا دورٌ تسعنا وتغننا عنكم..."^(٨٧)
يستشف مما تقدم ان الاذلال والاهانة والخضوع لانتناسب مع التركيبة النفسية للبربر، حتى وان كلفه ذلك فقدان المنصب وفعلاً فقد ترك الوزير المنصب، حتى أستدعي مع مرة ثانية أكرم فيها حتى اقتنع.

مما وجبت الإشارة اليه، فإنّ البربر كانوا يتعلقون بالعرب حباً. وبالبيوتات العربية المشهورة من باب الحصول على (شارة الامتياز)^(٨٨) وكان مبدأ الولاء قد سمح لهم بالالحاق بالبيت الأموي، إما تقريباً للاسلام- على وفق ظنهم- أو حصولاً على مكانة اجتماعية إذ ان الانضواء تحت لواء هذه البيوتات يقربه زلفى من درجة الاحرار. وعندما تمثل البربر للثقافة العربية واندماجهم بصورة تدريجية من باب المثاقفة أو بسبب اتخاذ الاسلام ديناً. دفعهم للتفاخر بالصاق انفسهم بالعروبة ونكاد نلمس ذلك من البربر انفسهم لا سيما القادة والامراء منهم فإذا ما تحقق نصرٌ على ايديهم فإنهم سيسعدهم سماع الشعراء قولهم ان هذا النصر تحقق لما يحمله القائد من شيمة العروبة وقوة بأسه. وربما قبولهم هذا الاطراء يعود الى غاية في انفسهم لتوكيد فكرة انسابهم الى اصول تعود الى سام. وانهم عرب صليبة. فالامير القائد يوسف بن تاشفين استساغ شعر جعفر بن ابراهيم المعروف بابن الحاج اللورقي^(٨٩) في قوله^(٩٠): (من البسيط)

كم بالمغرب من أشلاء مخترم وعائر الجد مصبورُ على الهون

أبناء معن وعباد ومسلمة والحميريين باديس وذو النون

فقلوه: الحميريين باديس ، وذو النون اشارة واضحة في ضمّهم الى الارومة العربية الحميرية.

ولو عدنا الى زمن فتح الاندلس . فطارق بن زياد كان قد وعى اهمية اصفاء صفة العروبة على الفتح لدواعي اجتماعية ودينية وسياسية وربما حتى نفسية فاطلق تسمية (سور العرب) على أول سور افتتحه بالاندلس ولم يسمّه بأي اسم بربري .

ووعى الشاعر ابن خفاجة اهمية الصاق البربر بالنسب العربي وفي أخص قبيلة منه (قريش) لما ألفه من نفوس تهش لهذا اللصاق فمدح نجل يوسف بن تاشفين، فقال^(٩١): (من الطويل)

فمن مثلُ ابراهيم والصيْحُ ابلُجْ وهل مثلُ ابراهيم والحقُ أصدُغْ

إمامٌ تدانى رأفةً وسما به الى المجد بيتٌ طاول النجم أروغْ

جليّ ومن بطحاء مكة حنّةً إليه وللبيت الحرام تطلّعْ

ترى لقريش فيه برقٌ مُخيلةٍ يلوحُ وعرفاً للخلافة ينزغْ

وفي موضع آخر يقول^(٩٢): (من الوافر)

إمامٌ في الذؤابة من قريشٍ وحسبُ المجد من عودٍ صليبِ

وقوله^(٩٣): (من المديد)

من قريش في الصميم ومنّ فتية الهيجاء في الصمم

وفي عهد الموحدين بعد أن استتب الأمر لهذه الدولة البربرية أن تحكم الأندلس، فإنّ الشعراء تقاطروا على بلاطهم مادحين متخذين من العروبة وما انمازت به من خصائص، مادة لمدهم عازفين على الوتر نفسه الذي عزف عليه مؤسس هذه الدولة (محمد بن تومرت)^(٩٤) الذي أعلن نفسه مهدياً لتحقيق مآرب سياسية.

فكان قد الصق نفسه بالنسب المحمدي (ص) لاستمالة نفوس العامة وتحقيق مراده. وهو موضوع شائك وطويل كنا قد وقفنا عليه في كتابنا رثاء المدن في الشعر الأندلسي^(٩٥) فوظف الشعراء هذا اللصاق في شعرهم لاسيما في مدح خليفته ووصيه وتلميذه عبد المؤمن بن علي^(٩٦) وهاهو ذا نفسه يستنفر العرب من بني هلال لنصرته، فخطبهم بأبناء العمومة على حدّ قوله^(٩٧): (من الطويل)

بني العِم من عليا هلال بن عامر وماجمعت من باسل وابن باسل

تعالوا فقد شدّت الى الغزو نيةً عواقبها مقصورةً بالأوائل

وغير ذلك من الشعر الذي احتجنته المظان الأندلسية...

تأسيساً على ما تقدم، لاندعُ الصاق البربر أنفسهم بالنسب العربي اعلاءً من شأن العرب (مع ايماننا بعلو شأنهم) وتحقيقاً للسطوة المنشودة في ابقاء هوية الأندلس عربية خالصة، وتهميش الأقوام الأخرى وإنما نراه يعود في مجمله الى البربر انفسهم، بعد أن آمنوا ان العرب قد استمكنوا مقاليد الحكم في هذه الجزيرة النائية عن مرتعهم وهي حقيقة لا يمكن القفز عليها فمن الاولى -ودفعاً لخسارة كل ماتحقق- ضرورة محاباتهم والتقرب اليهم مؤثرين في ذلك على انفسهم وربما كان الدافع العقدي الذي من اجله فتحوا الاندلس مدعاة لدعوتهم رص الصفوف، و وأد الفتن والأحن لمواجهة (عدو مشترك) هم الاسبان دفعهم الى الانصهار والتماهي ضمن تلك القبيلة او تلك. او قد تكون اللغة العربية التي أعجبوا بها أيما اعجاب فتعلموها واتقنوها للاعتبارات الدينية الابداعية، سبباً للانجذاب الكلي نحو العرب .فاندفعوا لتعلمها وهضمها فسواءً هذا او ذاك فإن تلك العلاقة أفرزت تشظياً وشقاقاً أظهرتها الفتنة التي لصقت بالبربر حيث وصل التحالف الى التضاد والتصادم فزهقت الأرواح ودمرت المدن .وتناهب القوم الخيرات وتحول مجرى الصراع الى صراع دنيوي بين الأخ واخيه في الدين.

واخيراً نقول: لم نبتغ في الصفحات المتقدمة تشويه صورة العرب بالاندلس، وتلميع صورة البربر وإنما كان جل دأبنا ينصبُ على ابراز تلك النظرة المجتمعية لبعض العرب ممن تسيدوا السلطة نظرة تقوم على نرجسية واضحة متعالية لم تستطع اقناع الآخر في جذبه الى حوار ثقافي وايماني معتدل قائم على الاعتراف به أولاً. فظل الآخر (البربر) في التركيبة السوسولوجية التي أضحت فيما بعد -سياسية- ظل يصارع من اجل البقاء في ارض قذفه اليها اندفاع صادق نحو الجهاد في سبيل الله، وفتح امصار جديدة للحاضرة الاسلامية منذ عام (٩٢هـ) بيد أنه لاقى جدران من التمتع، وعدم القبول فحاول الانقلاب على تلك الثقافة المضادة .فثار حيناً واندمج في احايين كثيرة. وكان اكثر ايجابية في تعاطيه مع قطبي تلك الثنائية (العرب-البربر) على الرغم من عدم اكتفائه بدور الرائي أو المنبهر تماماً. فشارك بفاعلية في بناء اللحمة الاجتماعية، وبناء الاندلس. وصولاً الى الانصهار الحقيقي ببيئة الاسلام. ولا ضير في المحافظة على الموروثات والعادات واللغة التي ينتمي اليها. مع كل مذكراته من محاولات ايجابية للبربر للانضواء تحت العباءة العربية

إلا أننا نجد انتفاخاً للذات وعدم اكتناه ثقافة الآخر وميوله . وايمان-مشبع بالغرور-يقوم على افتراض قبول البربر لكسر الحواجز والاندماج انما هو تقبل المضطر المغلوب على أمره، مما أنتج وفقاً لما تقدم مجتمعاً هشاً، وتعايشاً مفترضاً. اندثرت فيه ثقافة غير العربي -الا قليلاً-أو ظلت معلقة كريشة في الهواء تسبح في افاق الهوية المستلبة من جهة والهوية الفاعلة القوية من جهة أخرى .وأفضى هذا أيضاً الى رفض مجتمعي لا يمكن -البتة- انكاره. دونما طرح بديل ثقافي(اسلامي) ناضج وجامع .ولعلّ اللهاث وراء السلطة والجاه. كان السبب الرئيس الذي أدى الى انهيار المنظومة الاسلامية بعد أن شلت حركتها فراوحت في مكانها

فخرجت-عندئذ-من الحضور التاريخي الذي امتد قروناً ثمانية. وهذا يفسر لنا ايضا عدم استطاعة الاسلام ان ينتشر في الاندلس بين اوساط الاسبان الا قليلا، لانشغالهم عنه باطماع عمي بسببها ،اي جهد دعوي تثقيفي لجذب الاخر .

وبدا لنا - مما تقدم ايضاً- ان تلك السلطة الطامحة كانت قد وظفت الشعر، كما هو الدين، في تبني ثقفاً يفرض على الآخر انحناءً وتحودباً وقبولاً مرغماً وفق صور مبالغ فيها من الترهيب والتعجيز تتسم بالقدرة على المحو والتقتيل والسبي. واشاعة ثقافة التعصب والتسيد والانغلاق واضى المجتمع-مجبوراً-بتقبل طروحات عقائدية وجدّ فيها متنفساً كتعاطف البربر الكبير والواضح مع الثورة الحسينية وواقعة الطف بكربلاء، وما آل اليه مصير آل البيت (عليهم السلام) على يد الدولة الأموية. فألفوا شعوراً مشتركاً يتناغم مع الاحساس الدفين بالمظلومية المشتركة من طرف واحد عندما دقت هذه الدولة-مع الاسف- اسفين الفرقة والعصبية العمياء .

- انتهى -

المصادر والمراجع

- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى لابي العباس السلاوي (ت ١٣١٥هـ) - دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الاولى ٢٠٠٧
- الاسهام العلمي للبربر في الاندلس - الحبيب حاكمي - رسالة ماجستير جامعة وهران كلية العلوم الانسانية ٢٠١٠
- أعمال الاعلام فيمن بوع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ) - ... سيد كسروي حسن دار الكتب العلمية بيروت.
- أمثال العامة في الاندلس عبد العزيز الاهواني دار المعارف القاهرة ١٩٦٢.
- أمثال العوام في الأندلس . عبد الله بن احمد الزجالي (ت ٦٩٤هـ) تحقيق محمد بن شريفة - مطبعة محمد الخامس - فاس ١٩٧٥.
- البربر في افريقيا في العصر الاموي. علي محمد الجندي رسالة ماجستير جامعة الازهر كلية اللغة العربية ١٩٩٢.
- البربر في الأندلس وموقفهم في فترة القرن الخامس الهجري . تاليف د. عبد القادر بوباية دار الكتاب العلمي. الطبعة الاولى لبنان ٢٠١١.
- البيان في المغرب في اخبار الاندلس. ابن عذاري المراكشي (ت ٧١٢هـ) تحقيق كولان وبرونسال دار الثقافة بيروت ١٩٨٠.
- تاريخ افتتاح الاندلس لابن القوطية (ت ٣٦٧هـ). تحقيق ابراهيم الانباري دار الكتاب المصري واللبناني الطبعة الثانية ١٩٨٩.
- تاريخ دمشق لابن عساكر ابو القاسم علي الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ) دار الفكر للطباعة القاهرة ١٩٩٥.
- تبیین المعاني في شرح ديوان ابن هاني (ت ٣٢٦هـ) د. زاهد علي . مكتبة ومطبعة المعارف ١٣٥٢ هـ . (ديوان ابن هاني).
- التشيع في الأندلس محمود علي مكي . مكتبة الثقافة الدينية بيروت الطبعة الاولى ٢٠٠٤.
- جذوة المقتبس للحمدي (ت ٤٨٨هـ) تحقيق ابراهيم الابياري. دار الكتاب المصري. واللبناني بيروت ١٩٨٩.
- جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) دار الكتب الاسلامية بيروت ٢٠١٤.
- الحلة السيرة في تراجم الشعراء. ابن الأبار القضاعي (ت ٦٥٨هـ). تحقيق علي ابراهيم محمود دار الكتب العلمية . الطبعة الاولى ٢٠٠٨.

- ديوان أبي بكر يحيى المعروف بـ الحزار السرقسطي (ت ٦٠٦ هـ) تحقيق د. منجد مصطفى بحث عالم الكتب الاردن الطبعة الاولى ٢٠٠٨.
- ديوان ابن حمديس (ت ٥٢٧ هـ). تحقيق د. يوسف عيد دار الفكر العربي - بيروت الطبعة الاولى ٢٠٠٥.
- ديوان أبْن خفاجة (ت ٥٢٣ هـ). تحقيق الدكتور سيد غازي - منشأة المعارف مصر. الطبعة الثانية (د.ت)
- ديوان ابن الخطيب المسمى الصيب والجهم والماضي والكهام. محمد بن عبد الله لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) تحقيق محمد الشريف. الشركة الوطنية ١٩٧٣.
- دولة الادارسة في المغرب والأندلس/ سعدون نصرالله دار النهضة العربية بيروت ط الاولى ١٩٩٦.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لابن بسام . تحقيق احسان عباس دار الثقافة بيروت ١٩٩٧.
- رثاء المدن في الشعر الأندلسي - عهد الموحدين - رعد ناصر الوائلي مطبعة عبادي - صنعاء ٢٠٠١ ط الاولى.
- ربحانة الكتاب ونجعة المنتاب - لسان الدين بن الخطيب. حققه محمد عبدالله عنان القاهرة مكتبة الخانجي ١٩٨١.
- الروض المعطار في خبر الاقطار - محمد بن عبد المنعم الحميري (ت ٩٠٤ هـ). تحقيق احسان عباس - مؤسسة الناصر للثقافة ط الثانية ١٩٨٠.
- سير أعلام النبلاء - شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) - تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرق سوسي. مؤسسة الرسالة بيروت ط التاسعة ١٩٨٨.
- طبقات النحويين واللغويين أبو بكر الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ). تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ٢٠١٤.
- العظيمة/ عائض القرني. تحقيق باحث بن احمد. المكتبة الوقفية. الطبعة الثانية ٢٠٠٤.
- الكامل في التاريخ - عز الدين الجزري الوصلي المعروف بابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ) - الجزء الثالث دار الكتب بيروت الطبعة السادسة ١٩٨٦.
- المسالك والممالك لابي عبيد البكري (ت ٤٨٧ هـ) تحقيق أدريان فان . دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٩٢.
- مستترك الحاكم على الصحيحين أبو عبدالله محمد بن عبد الله النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ). تحقيق مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية / بيروت ١٩٩٠.
- مسند أحمد بن حنبل (ت ٤٢١ هـ). تحقيق أحمد شاكر وحمزة الزني. مؤسسة الرسالة بالقاهرة ١٩٦٩.
- المعجب في تلخيص اخبار المغرب لأبي محمد المراكشي - المكتبة العصرية . بيروت .
- معجم البلدان لياقوت الحموي. تحقيق فريد الجندي. دار الكتب العلمية بيروت ط الثانية ٢٠١٢.

- المعجم الكبير للطبراني سليمان احمد. تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي مكتبة ابن تيمية ٢٠٠٨.
- المغرب في حلى المغرب لابن سعيد الاندلسي. تحقيق خليل المنصور دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى ١٩٩٧.
- مفاخر البربر - لمؤلف مجهول - دراسة تحقيق عبد القادر بوباية دار أبي رقرق للطباعة والنشر - الرباط - الطبعة الاولى ٢٠٠٥.
- المفاضلات في الادب الاندلسي ادي ولد ادب /المركز العربي للابحاث الرحمن علي الحجي. دار الثقافة بيروت ط الاولى ١٩٦٥.
- المقتبس من ابناء اهل الاندلس لابن حيان القرطبي (ت٤٦٩هـ) تحقيق محمود علي مكي بيروت.
- المقدمة لابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ) دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت ٢٠١٦.
- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب للمقري التلمساني (ت١٠٤١هـ). تحقيق احسان عباس . دار صادر بيروت (د.ت)
- نهاية الأرب في فنون الأدب - احمد النويري (ت٧٣٣هـ) - تحقيق أبو ظيف أحمد دار النشر المغربية - الدار البيضاء ١٩٨٤.
- Memorial Historico Espanol, Maldonado III us straciones De leacasa de Nieba Tran
slation: cathes Boignes.

- (^١) السوسيولوجيا: تعد علما نقديا يتخذ كهدف له تفسير الظواهر الاجتماعية الخفية. وظهر هذا العلم في القرن التاسع عشر بعد ان انفصلت دراسة الفلسفة عن علم الاجتماع .ويسعى علماء السوسيولوجيا الى فهم الظواهر والوقائع الاجتماعية مع دراستها وفق التأويل والربط بين ماهو ظاهرة وسلوك.ويعد العالم سان سيمون واغنست كونت وماركس روادا لهذا العلم.
- (^٢) كالعالم بيبيرور وماكس فيبر وايميل دوركهايم.
- (^٣) تبين المعاني، ص٣٦٥.
- (^٤) الحجرات آية ١٣.
- (^٥) ينظر تاريخ افتتاح الاندلس: ص ١١ ومفاخر البربر: ص ١٥
- (^٦) حاول موسى بن نصير إحداث توافق سكاني بين اعداد البربر التي اسهمت في الفتح بقيادة طارق بن زياد. والآخرين الذين لحقوا بهم بمعوية موسى نفسه فألف جيشاً كبيراً قوامه العرب ينظر: المعجب وكتاب ذكر سبب فتح الاندلس وأمرائها تحقيق لويس مولونيا- المجلس الاعلى للابحاث مدريد ١٩٩٤.
- (^٧) المعجب، ص ١٧.
- (^٨) نفسه.
- (^٩) ينظر: البربر في افريقيا في العصر الاموي، ص ٨٢.
- (^{١٠}) عن تلك المغانم: ينظر: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص ١٧. المعجب وتاريخ افتتاح الاندلس. ص ٣٥. وفتوح افريقيا: ص ٣٥
- (^{١١}) تاريخ المغرب الكبير ٢/ص ١٣١، والمعجب، ص ٢٢، والعبير وديوان المبتدأ ٧/٢٥٤.
- (^{١٢}) ابو الخطار والي الاندلس، استطاع ان يقضي على الفتنة ينظر: الجذوة: ق ٣٤/١/١
- (^{١٣}) المقتبس ٣/٦٤ والجذوة ١/٣١٤.
- (^{١٤}) سعيد بن جودي السعدي احد ثوار الدعوة العربية من اصحاب سوار بن حمدون .ترجمته بالمغرب ١/٤٤
- (^{١٥}) المقتبس ٣/٦٤.
- (^{١٦}) نفسه.
- (^{١٧}) حسن بن قنون وينظر ايضا دولة الادارسة في المغرب والاندلس ص ٤٢
- (^{١٨}) الحكم بن عبد الرحمن الملقب بالمستنصر (ت ٣٦٦هـ) ترجمته في الحلة السيرة ١/٢٠٣ والنفح ١/٣٩٥
- (^{١٩}) مفاخر البربر ص ١٠٠
- (^{٢٠}) ينظر نفح الطيب ٣/٤٣
- (^{٢١}) نفسه.
- (^{٢٢}) نفسه.
- (^{٢٣}) ابو بكر عيني بن حمد الجزار السرقسطي ق ٦٠٦هـ لقب بالجزار لمهنته القصابة. له ديوان مطبوع باسم روضة المحاسن وعمدة المحاسن تحقيق د. منجد مصطفى بهجت مطبعة المجمع العلمي العراقي.
- (^{٢٤}) ديوانه ص ١١٩
- (^{٢٥}) نفسه ص ١٢٠
- (^{٢٦}) المقتبس ٣/٥٩
- (^{٢٧}) عثمان بن عبد الله السلاجي القيسي القرشي كان امام زمانه في الغرب في علوم الاعتقاد، له كتاب اسمه البرهانية وتتلذ على يده مريدون كثيرون . ترجمته في جذوة المقتبس ٤٥٨
- (^{٢٨}) جذوة المقتبس ٤٥٨
- (^{٢٩}) ترجمته في البيان المغرب ٣/١٢٩

- (٣٠) نفسه
- (٣١) ديوانه ص ١١٠
- (٣٢) معجم البلدان: ٢١١/١
- (٣٣) مسند الامام احمد: ٣٦٧/٢ وينظر ايضاً المعجم الكبير: ٣٣٢/٢، ٢٩٩/١٧
- (٣٤) معجم البلدان: ٢١١/١ وهناك مصادر كثيرة حطت من منزلة البربر، يمكن العودة اليها المعجم الكبير للطبراني: ٢٣٣/٢٠، مسند احمد بن حنبل: ٢٢١/٢، تاريخ دمشق: ٢٧٧/٦٢، مستدرك الحاكم: ٢٦٧/٢، كتاب العظمة: ٣٧٦/٥
- (٣٥) طبقات المشايخ بالمغرب: ١٧/٢، مفاخر البربر: ١٨١، والاستقصا ٧٤/١ مع تحفظنا على الرواية
- (٣٦) ص ٨٠ وما بعدها
- (٣٧) سبق التعريف به.
- (٣٨) المقتبس: ٥٩٣
- (٣٩) نفسه: ٦١٠
- (٤٠) ترجمته في النخبة ق: ٢٣/١، والنفع: ٤٢٩/١.
- (٤١) نفع الطيب: ٤٢٩/١.
- (٤٢) قرمونة مدينة بالاندلس في الشرق من اشبيلية، كبيرة وقديمة وتقع على سفح جبل ينظر صفة جزيرة الاندلس: ١٥٨.
- (٤٣) رندة: من مدن تاكرنا وهي على نهر ينسب اليها. ينظر: صفة جزيرة الاندلس: ٧٩.
- (٤٤) ترجمته في النفع: ٤٢٩/١
- (٤٥) نفسه: ٤٣٠/١
- (٤٦) الحجرات اية ١١:
- (٤٧) ينظر: المغرب ١٤/٢
- (٤٨) نفع الطيب: ١٣٤/٤
- (٤٩) ديوانه ٥٨. الحلة السيرة: ٢٠٦
- (٥٠) ترجمته (٥٠) السوسيولوجيا: تعد علما نقديا يتخذ كهدف له تفسير الظواهر الاجتماعية الخفية. وظهر هذا العلم في القرن التاسع عشر بعد ان انفصلت دراسة الفلسفة عن علم الاجتماع. ويسعى علماء السوسيولوجيا الى فهم الظواهر والوقائع الاجتماعية مع دراستها وفق التأويل والربط بين ماهو ظاهرة وسلوك. ويعد العالم سان سيمون واغنست كونت وماركس روادا لهذا العلم.
- (٥٠) كالعالم بيبيرور وماكس فيبر وايميل دوركايم.
- (٥٠) تبين المعاني، ص ٣٦٥.
- (٥٠) الحجرات آية ١٣.
- (٥٠) ينظر تاريخ افتتاح الاندلس: ص ١١ ومفاخر البربر: ص ١٥
- (٥٠) حاول موسى بن نصير إحداث توافق سكاني بين اعداد البربر التي اسهمت في الفتح بقيادة طارق بن زياد. والآخرين الذين لحقوا بهم بمعونة موسى نفسه فألف جيشاً كبيراً قوامه العرب ينظر: المعجب وكتاب ذكر سبب فتح الاندلس وأمرائها تحقيق لويس مولونيا- المجلس الاعلى للابحاث مدريد ١٩٩٤.
- (٥٠) المعجب، ص ١٧.
- (٥٠) نفسه.
- (٥٠) ينظر: البربر في افريقيا في العصر الاموي، ص ٨٢.
- (٥٠) عن تلك المغامرات: ينظر: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص ١٧. المعجب وتاريخ افتتاح الاندلس. ص ٣٥. وفتوح افريقيا: ص ٣٥
- (٥٠) تاريخ المغرب الكبير ١٣١/٢، والمعجب، ص ٢٢، والعبير وديوان المبتدأ ٢٥٤/٧.

- (٥٠) ابو الخطار والي الاندلس، استطاع ان يقضي على الفتنة ينظر: الجذوة: ق: ٣٤/١/١
- (٥٠) المقتبس ٦٤/٣ والجدوة ٣١٤/١.
- (٥٠) سعيد بن جودي السعدي احد ثوار الدعوة العربية من اصحاب سوار بن حمدون، ترجمته بالمغرب ٤٤/١
- (٥٠) المقتبس ٦٤/٣.
- (٥٠) نفسه.
- (٥٠) حسن بن قنون وينظر ايضا دولة الادارسة في المغرب والاندلس ص ٤٢
- (٥٠) الحكم بن عبد الرحمن الملقب بالمستنصر (ت ٣٦٦هـ) ترجمته في الحلة السيرة ٢٠٣/١ والنفع ٣٩٥/١
- (٥٠) مفاخر البربر ص ١٠٠
- (٥٠) ينظر نفع الطيب ٤٣/٣
- (٥٠) نفسه.
- (٥٠) نفسه.
- (٥٠) ابو بكر عيني بن حمد الجزار السرقسطي ق ٦٠٦هـ لقب بالجزار لمهنته القصابة. له ديوان مطبوع باسم روضة المحاسن وعمدة المحاسن تحقيق د. منجد مصطفى بهجت مطبعة المجمع العلمي العراقي.
- (٥٠) ديوانه ص ١١٩
- (٥٠) نفسه ص ١٢٠
- (٥٠) المقتبس ٥٩/٣
- (٥٠) عثمان بن عبد الله السلاجي القيسي القرشي كان امام زمانه في الغرب في علوم الاعتقاد، له كتاب اسمه البرهانية وتتلذ على يده مريدون كثيرون . ترجمته في جذوة المقتبس ٤٥٨
- (٥٠) جذوة المقتبس ٤٥٨
- (٥٠) ترجمته في البيان المغرب ١٢٩/٣
- (٥٠) نفسه
- (٥٠) ديوانه ص ١١٠
- (٥٠) معجم البلدان: ٢١١/١
- (٥٠) مسند الامام احمد: ٣٦٧/٢ وينظر ايضا المعجم الكبير: ٣٣٢/٢، ٢٩٩/١٧
- (٥٠) معجم البلدان: ٢١١/١ وهناك مصادر كثيرة حطت من منزلة البربر، يمكن العودة اليها المعجم الكبير للطبراني: ٢٠٣/٢٠، مسند احمد بن حنبل: ٢٢١/٢، تاريخ دمشق: ٢٧٧/٦٢، مستدرك الحاكم: ٢٦٧/٢، كتاب العظمة: ٣٧٦/٥
- (٥٠) طبقات المشائخ بالمغرب: ١٧/٢، مفاخر البربر: ١٨١، والاستقصا ٧٤/١ مع تحفظنا على الرواية
- (٥٠) ص ٨٠ وما بعدها
- (٥٠) سبق التعريف به.
- (٥٠) المقتبس: ٥٩٣
- (٥٠) نفسه: ٦١٠
- (٥٠) ترجمته في الذخيرة ق: ٢٣/١/١، والنفع: ٤٢٩/١.
- (٥٠) نفع الطيب: ٤٢٩/١.
- (٥٠) قرمونة مدينة بالاندلس في الشرق من اشبيلية، كبيرة وقديمة وتقع على سفح جبل ينظر صفة جزيرة الاندلس: ١٥٨.
- (٥٠) رندة: من مدن تاكرنا وهي على نهر ينسب اليها. ينظر: صفة جزيرة الاندلس: ٧٩.
- (٥٠) ترج في الحلة السيرة.

- (^{٥١}) الحلة السيرة: ٥٤.
- (^{٥٢}) ابو زرجونة ممن ولي على البربر في افريقيا لاسيما عند ظهور الاباضية في نواحي افريقية وللاستزادة ينظر تاريخ ابن خلدون ١١٥/٦
- (^{٥٣}) الحلة السيرة: ٥٤.
- (^{٥٤}) ينظر الكامل لابن الاثير: ٢٢٢/٤، والاستقصا: ١٣٤/١
- (^{٥٥}) memorial Historices Panol paq بترجمة الزميلة المستشرقة كاثي يوضس في لقاء جمعني واياها بمدينة غرناطة.
- (^{٥٦}) طبقات النحويين: ٢٥٤.
- (^{٥٧}) السمسيس: ترجمته في الاعلام: ٣١١/٢.
- (^{٥٨}) نفح الطيب: ٤١٢/٣.
- (^{٥٩}) للاستزادة ينظر امثال العامة بالاندلس: ٨٣، وامثال العوام بالاندلس: ٤٥.
- (^{٦٠}) ماغوس او مادغوس فبر بقرب جبل اوراس وبني على شكل جبل الروض المعطار: ٥٢٣.
- (^{٦١}) رحانة الكتاب ٢٦٧، والصيب والجهام.
- (^{٦٢}) نفح الطيب: ٤٦٥/١
- (^{٦٣}) ينظر: البربر في الاندلس ٢٨٤
- (^{٦٤}) عن هذه الفتنة ينظر: البيان المغرب: ٣٨/٣، اعمال الاعلام: ٩٠، نهاية الارب: ١٢٨
- (^{٦٥}) ينظر عن هذه الدولة اعمال الاعلام ٢٦٥، والوافي بالوفيات: ٤١٨/٨، فقه التمكن: ٨٠.
- (^{٦٦}) الزلافة: معركة كبرى انتصر فيها يوسف بن تاشفين على الفونسو عام ٤٧٩ هـ يوم الجمعة (يوم العروبة) ينظر: الروض المعطار: ٨١، نفح الطيب: ٩٦/٦:
- (^{٦٧}) الحلة السيرة: ٢٢٩
- (^{٦٨}) يوم العروبة: هو يوم الجمعة في الجاهلية وصادف ان يكون يوم معركة الزلاقة.
- (^{٦٩}) ديوانه: ١٠٩.
- (^{٧٠}) ابو محمد عبد الجبار بن ابي بكر ابن حمديس الازدي ولادته سنة ٤٤٦ هـ في صقلية ترجمته الذخيرة: ١٢٠/٤، اعمال الاعلام: ٩١ له ديوان مطبوع بتحقيق د. يوسف عيد.
- (^{٧١}) ديوانه: ٣٧٣.
- (^{٧٢}) نفسه: ٣٨١
- (^{٧٣}) الذخيرة: ٢٥٥/١/٢
- (^{٧٤}) السبطاط: احدى القواعد العسكرية التابعة لمملكة ليون وهي تسمية اسلامية، ينظر: البيان المغرب: ١٩١.
- (^{٧٥}) ابو علي الحسن الاشيري ولد بتلمسان ثم انتقل الى الاندلس عام ٥٤٠ هـ عالم باللغة والغريب ترجمته في النفح: ٣٢١/٤.
- (^{٧٦}) الذخيرة: ٣٠٠/١/٢
- (^{٧٧}) نفسه: ٣٠٠/١/١، والاحاطة: ٨٤/١، المغرب: ٧٦/٢، والنفح: ٥٨/٤
- (^{٧٨}) المقتبس: ١٩٠/٤
- (^{٧٩}) نفح الطيب: ٤٢٩/١
- (^{٨٠}) ترجمته في الحلة السيرة: ٧١، والمغرب: ١٢٤/٢
- (^{٨١}) جذوة المقتبس: ٤٠١/١
- (^{٨٢}) الحلة السيرة: ٤٠
- (^{٨٣}) نفح الطيب: ٤٣/٢
- (^{٨٤}) ينظر: البربر في الاندلس: ٣٣٠

- (^{٨٥}) المقتبس: ١٥٥
- (^{٨٦}) ينظر: البربري الاندلس: ٢١٤
- (^{٨٧}) نفسه: ٢١٥
- (^{٨٨}) الحاج اللورقي فقيه وكاتب، كتب الى ابي علي المنصور، وهو واول من ثار بمصرية ترجمته في النفع.
- (^{٨٩}) الحلة السيرة: ٢٢٩
- (^{٩٠}) المعجب: ١٣
- (^{٩١}) ديوانه: ٨٩.
- (^{٩٢}) نفسه.
- (^{٩٣}) نفسه: ٢٦٥.
- (^{٩٤}) محمد بن المهدي بن تومرت. اختلف في نسبه هل هو عربي ام بربري اسس الدولة الموحدية بالاندلس وادعى انه المهدي اخباره في مقدمة ابن خلدون: ٢٦ وسير اعلام النبلاء: ٥٣٩/١٩
- (^{٩٥}) طبع بصنعاء الطبعة الاولى عام ٢٠٠١، والطبعة الثانية بدمشق عام ٢٠١٦
- (^{٩٦}) عبد المؤمن بن علي الكومي ولد بتلمسان عام ٤٨٧هـ يُعد الابن الروحي للمهدي بن تومرت فيبيع بعده عام ٥٢٤هـ ترجمته في سير اعلام النبلاء ٣٦٩/٢٠
- (^{٩٧}) المعجب: ٢٨٥